العبث الفكري في النحو العربي:

دراسة في نصوص مختارة

الأستاذ الدكتور سعيد جاسم الزبيدي

جامعة نزوى، سلطنة عُمان

الخميس ١٠ شعبان ١٤٣٩هـ - الموافق ٢٦ نيسان ٢٠١٨م

الملخص

تناولت هذه الورقة مهمة التنبيه على (شوائب) و(زوائد) و(ما دخل)، على منهج النحو العربي وكتبه فقامت خطتها على:

- مقدمة.
- وثلاثة مباحث:

الأول: أمثلة لم ترد على لسان عربي (التمارين غير العملية=الافتراضية) التي كانت مهمتها التدريب والرياضة عليها.

الثاني: ظاهرة التعدد: في معاني المفردات، والمصطلحات في النحو والصرف، والوجوه الإعرابية.

الثالث: كتب نحوية ملئت جدلاً، وتفريعاً، وحشواً، مما لا يمت إلى الدرس النحوي بشيء.

استخدم الباحث المنهج الوصفي في عرض هذا العبث، وأتبعه تحليلاً مناسباً، للتنبيه على أنّ بعضاً مما ورد ما زال يتردد في قاعات الدرس، وإثارة الغيارى لإبعاده، وتقديم درس لغوي يأخذ مما قدّمه الدارسون شرقاً وغرباً بما يخدم العربية، ويطوّر أدوات البحث فيها.

مقدمة

لعلّ في مقولة ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ): "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف ما يستغني النحوي عنه..."[١] – وأُضيف: المتعلم أيضاً – منطلقاً صالحاً، طفق الذين يهمهم أمر النحو، ولا سيما أصحاب التيسير، يعيدون النظر في مسائله إصلاحاً وتجديداً، واستبعاد ما لا علاقة له به، وليس بالمتعلم حاجة إليه، بل كان ذلك من تأثير: الفقه، وأصوله، وعلم الكلام، والجدل، والصور الذهنية[٢]، فشوهته.

وتناولت هذه الورقة مهمة التنبيه على (شوائب) و(زوائد) و(ما دخل) على منهجه، وكتبه[٣]، فقامت خطتها على:

- مقدمة.
- وثلاثة مباحث:

---

(١) ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ)، **الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف**، دار المعارف/ القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ص٧٦.

(٢) ينظر: – عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧١م، ص١٠-١١.

- أنيس فريحة: نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص١٥٨.

(٣) ينظر: – مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي/ بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١٥.

- عباس حسن: بعض الشوائب في النحو، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية/ القاهرة، الدورة الخامسة والثلاثون، سنة ١٩٦٨م/ ١٩٦٩م.

الأول: أمثلة لم ترد على لسان عربي (التمارين غير العملية = الافتراضية) التي كانت مهمتها التدريب والرياضة عليها.

الثاني: ظاهرة التعدد: في معاني المفردات، والمصطلحات في النحو والصرف، والوجوه الإعرابية.

الثالث: كتب نحوية ملئت جدلاً، وتفريعاً، وحشواً، مما لا يمت إلى الدرس النحوي بشيء.

إنّ الوقوف على هذا (العبث الفكري) الذي أثقل درس العربية التي ارتقت إلى أن تكون لغة الإعجاز بما فيها من صور، وأساليب، والتي حققت لعبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) (نظرية النظم)[١] جدير أن يتصدر اهتمام المشتغلين باللغة، لتقديم درس لغوي مبرأ مما علق به.

تخذت هذه الورقة المنهج الوصفي في عرض هذا العبث، وأتبعته تحليلاً مناسباً، للتنبيه على أنّ بعضاً مما ورد ما زال يتردد في قاعات الدرس، وإثارة الغيارى لإبعاده، وتقديم درس لغوي يأخذ مما قدّمه الدارسون شرقاً وغرباً بما يخدم عربيتنا، ويطوّر أدوات البحث فيها.

---

(١) ينظر: عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة، جدة، ط٣، ١٩٩٢م، ص٤٦.

المبحث الأول:

أمثلة لم ترد على لسان عربي

التمارين الافتراضية

من المسائل التي أثقلت الدرس اللغوي: صرفاً، ونحواً، والتي لا تقرّب فهماً، ولم تَدُرْ على لسانٍ عربيّ، ولم تفرضها حاجة، وقد ظهرت عند سيبويه (ت١٨٠هـ)، مما كان يسميه (التصريف)، فعقد لها باباً، فقال: "هذا ما بنت العرب من الأسماء، والصفات، والأفعال، غير المعتلّة، والمعتلّة، وما قيس من المعتلّ الذي لا يتكلمون به، ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه"(١)، وعلقت أستاذتي الفاضلة د. خديجة الحديثي على هذا فقالت: "ويتضح من هذا النصّ، وما ذكره سيبويه أنّه يطلق التصريف على التمرين والرياضة"(٢).

ومن أمثلة سيبويه قوله:

"وسألت الخليل عن رجلٍ يسمى: مِنْ زيدٍ... قطّ زيدٍ... وزنَ سبعةٍ..."(٣).

وجاء في (الكتاب) أيضاً:

"وإذا سميت رجلاً: الذي رأيته، والذي رأيت، لم تغيّره عن حاله قبل أن يكون اسماً"(٤).

وفي التسمية أيضاً: "لو سمّيت رجلاً بمسلمين..."(٥).

"ولو سميت رجلاً بضَرْب..."(٦).

---

(١) سيبويه: الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل/ القاهرة، ط١، د.ت، ٢٤٢/٤.

(٢) خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، مكتبة لبنان – ناشرون، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٠، ٢٥.

(٣) الكتاب، ٣٣٠/٣.

(٤) نفسه، ٣٣٣/٣.

(٥) نفسه، ٣٩٢/٣-٣٩٣.

(٦) نفسه، ٤٠١/٣.

ويختم سيبويه ذلك فيقول: "فجميع ما في هذا الباب لم يرد في الاستعمال"[١]. وغير هذا كثير.

وحاول ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) تسويغ ما جرى هذا المجرى بقوله: "إنّما الغرض فيه التأنس به، وإعمال الفكرة فيه، لاقتناء النفس القوة على ما يرد مما فيه... وهذا مما لم يأتِ عن العرب مثله"[٢].

ورفض ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) هذا النهج قائلاً: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه"[٣].

فضلاً عن متعلم العربية، وضرب أمثلة على ذلك فقال:

"مما ينبغي أن يُسقط من النحو (ابنِ من كذا مثال كذا... وهذا في مسألة واحدة، فكيف إذا كَثُر من هذا الفن، وطال فيه النزاع، وامتدت إليه أطناب القول، مع قلّة جدواه، وعدم الافتقار إليه"[٤].

إنّ ميدان (التمرين والرياضة والافتراض) صار مظهراً من مظاهر التنافس بين القدماء، ووسيلة لإظهار القدرة اللغوية بينهم[٥]، وعدّ المعاصرون هذه الأمثلة وما وراءها شوائب في الدرس اللغوي ليس بالمتعلم حاجة إليها.

---

(١) الكتاب، ٤١٢/٣.

(٢) ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، عالم الكتب/ بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، مجلد واحد، ص٦٢٩.

(٣) الرد على النحاة، ص٧٦.

(٤) نفسه، ص١٣٩-١٤٠.

(٥) ينظر: عادل نذير بيري، وحيدر عبد علي حميدي، أهداف الافتراض الصرفي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الحادي عشر- العدد الرابع/ إنساني، ٢٠١٣، ص٤٧.

جاء في (المقتضب) للمبرد (ت٢٨٥هـ):

"وتقول: رأيت الذي اللذان التي قامت إليهما عنده أخواك، فهذا كلام جيّد..."[١].

"ولو قلت: جاءني الذي التي اللتان اللذان الذي يحبهما عندهما في دارهما عنده جاريتُك، كان جيّداً... فكل ما زدت من هذا فهذا قياسه"[٢].

وجاء في (الأصول في النحو) لابن السراج (ت٣١٦هـ):

"الذي أبوه جاريته منطلقة أخوك... الذي الذي كان أبواه راغبين فيه جاريته منطلقة عمرو أخوك... ضرب اللذان القائمان إلى زيد أخواهما الذي المكرمه عبدالله..."[٣] وغير هذا كثير![٤].

أهذا كلام دار على لسان عربي؟!.

وعلّق د. أحمد عطية على هذا فقال:

"إنّ هذه التمارين العقلية لم تفد المتعلمين شيئاً، ولم تكسبهم السليقة اللغوية، وإنما أثقلت النحو العربي، وعقدت الكثير من جوانبه"[٥].

تعليق:

إنّ الغاية التي تقف وراء هذه (التمارين الافتراضية) على ما سوّغها ابن جنّي (ت٣٩٢هـ)، وتلقفها باحثان معاصران فقالا:

---

(١) المبرّد: المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب/ القاهرة، د.ط، ١٣٩٩هـ، ١٩٩/٣.

(٢) نفسه، ١٩٩/٣.

(٣) ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ٣٣٣/٢-٣٣٥.

(٤) السيوطي: المطالع السعيدة في شرح الفريدة، تحقيق نبهان ياسين حسين، دار الرسالة/ بغداد، د.ط، ١٩٧٧م، ٢٦٥/٢-٢٦٧.

(٥) أحمد مطر العطية: ابن السراج ومذهبه في النحو- دراسة في كتاب الأصول، دار الصحوة/ القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣١٢.

"إنّ هذه الافتراضات لم تكن اعتباطية من علماء اللغة على نحو عام، وعلمـــاء الصرف على نحو خاصّ، بل جاءت لغاية قد كانوا على وعي بها... الدربـــة والمران... وسيلة للتنافس بين العلماء"[1]!.

ولا أتفق مع الباحثين على أنها وسيلة للتنافس بين العلماء.

---

(١) أهداف الافتراض الصرفي، ص٤٤.

المبحث الثاني

تعدد الوجوه

- **تعدد معاني المفردة الواحدة:**

وأعني حين تكون هذه المفردة في نصّ واحد، كقوله تعالى: (طوبى لهم وحسنُ مآب) (سورة الرعد/٢٩).

واختلف الناس في معنى (طوبى):

- خير لهم.
- الخير والبركة.
- اسم الجنّة بالحبشية.
- اسم الجنّة بالهندية.
- النعمى لهم.
- الحسنى لهم.
- كلمة عربية.
- شجرة في الجنة.

وساق محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسيره (طوبى) عشرة أقوال[١]:

أولها: طيب العيش.

وثانيها: فَرَح لهم.

---

(١) أبو الحسن الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، نشر ذوي القربى/ طهران، ط١، ١٤٣١هـ، ٦/٢٥٠-٢٥١.

وثالثها: الحسنى.

ورابعها: نعم لهم.

وخامسها: غبطة لهم.

وسادسها: كرامة لهم من الله.

وسابعها: الجنّة.

وثامنها: شجرة في الجنّة.

وتاسعها: مؤنث الأطيب في صفة الجنة.

وعاشرها: العيش الأطيب.

ونسب الأقوال –عدا الأول– إلى قائليها.

وأضاف الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) إلى ما تقدم فأجملها بقوله: "إشارة إلى كل شيء مستطاب في الجنّة"(١).

وهذا يغني عمّا ذُكِرَ آنفاً، وكل المعاني تدور عليه، فهل في تعدد الأقوال ما يخرج عن هذا؟!.

- **تعدد المصطلح النحوي في الباب الواحد:**

من إشكاليات الدرس النحوي تعدد المصطلح، وأشرت إلى هذا تفصيلاً في كتابي (من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي –رواية اللغة)(٢)، وسأختار هنا أمثلة فقط:

---

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة/ بيروت، ط٣، ٢٠٠١م، ص٣١٥.

(٢) سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي ورواية اللغة، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٢ .

١- الممنوع من الصرف (أو الانصراف) = ما لا ينصرف = متمكن غير أمكن = الممنوع من التنوين = غير المجرى (ما لا يجرى) = ترك الإجراء = المنعي[١].

٢- حروف العلة = الحروف الهوائية = الحروف الجوف = حروف المدّ = حروف اللين = الحروف الصائتة = المصوتات[٢].

٣- حروف الجرّ = حروف الخفض = حروف الإضافة.

هذا فضلاً عن التعدد الناجم من اختلاف البصريين والكوفيين في استعمال مصطلحين في موضوع واحد[٣]. وقد دعا باحث إلى توحيد (المصطلح النحوي)، وهي دعوى غير واقعية، إذ جرت هذه المصطلحات في جميع كتب النحو، ولا إمكان -في عصرنا- بتوحيدها!!.

- **تعدد الوجوه الإعرابية:**

يشكل هذا ظاهرة لافتة في النحو العربي[٤]:

١- ومن أمثلة ذلك:

جاء في (دقائق التصريف) للمؤدب (ت٣٣٨هـ):

"وقد حمل بعض أهل العلم قول الله تعالى: (سلامٌ قولاً من ربّ رحيم) (سورة يس/٥٨) في السلام ثلاثة أوجه... ومنها ارتفاعه على المدح... وإن نصب... فهما وجهان: خامس وسادس... وإن نصب على الحال من الهاء أو

---

(١) سعيد جاسم الزبيدي: من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي ورواية اللغة، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٤.

(٢) نفسه، ص٢٧.

(٣) نفسه، ص٣١-٣٢.

(٤) ينظر: عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ص٨٨.

من (ما)، فهما وجهان: سابع وثامن... وإن رفع السلام بـــ(ما)... فهو جـــواب تاسع صحيح المعنى... فنصب السلام على القطع من الهاء أو من (ما)... فهما جوابان: عاشر وحادي عشر... وإن قيل: ولهم ما يدّعون سلاماً قولٌ... فهـــو ثاني عشر... وإن كان السلام مدحاً للهاء والقول نعت (ما) فهو ثالث عشر، وإن رفع القول بـــ(ما) ونصب السلام على الحال من الهاء فهو رابع عشـــر، وإن رفعت (ما) بالسلام ونصب السلام على القطع... فهو جواب خامس عشر[١].!!

وجاء في (البيان في غريب القرآن لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـــ): في قوله تعالى: (مالك يوم الدين) (سورة الفاتحة/٤): "وفي (مالك يوم الدين) في العربية أحد وثلاثون وجهاً..." [٢]!!

فهل يمكن للمتعلم أن يدرك هذا؟!.

٢-ومن أمثلة العبث الفكري إعراب معمول الصفة المشبهة:

ذكر سيبويه (ت١٨٠هـــ): "..أنّ معمول الصفة المشبهة يرد فـــي ثـــلاث أحوال إعرابية: رفعاً ونصباً وجراً[٣]، وهكذا جرى البحث بعده حتـــى القـــرن السابع إذ بلغت الأحوال عند ابن مالك (ت٦٧٢هـــ) اثني عشر وجهاً[٤]، وعند

---

(١) أبو القاسم بن محمد المؤدب: دقائق التصريف، تحقيق محمد حاتم الضامن، دار البشـــائر/ دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ص٤٤١-٤٤٢.

(٢) أبو البركات الأنباري: البيان في غريب القرآن، تحقيق طه عبدالحميد، الهيئـــة المصـــرية العامة للكتاب/ القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م، ص٤.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٢٠١/١.

(٤) ينظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيـــق محمـــد محيـــي الـــدين عبدالحميـــد، المكتبـــة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، ٢٠٠٤م، ١٤٣/١.

ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) ستة وثلاثين وجهاً[١]، وعند الشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ) أربعة عشر ألفاً وأربعمئة وجهاً[٢]، ويكررها الصبّان (ت١٢٠٦هـ) ورسم لها جدولاً مبيناً ما هو جائز، وما هو ممتنع[٣]، فإذا كان بعضها ممتنعاً فلماذا لا ينبه عليها، ويحذفها!!.

ومثل هذا العبث كثير، وقفنا على جملة منه في هذه الورقة، محذرين من تكرارها في قاعات درس العربية الذي ما زال يئن من

٣-إعراب الأسماء الخمسة (الستة):

نقل السيوطي (ت٩١١هـ) في (همع الهوامع)، فقال:

"في إعراب الأسماء الستة مذاهب: أحدها... الثاني... الثالث... الرابع... الخامس... السادس... السابع... الثامن... التاسع... العاشر... أحد عشر... الثاني عشر"[٤].!

وعلّق الأستاذ عباس حسن فقال:

"في مقدمة هذه المشكلات (تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة واختلاف الأحكام فيها)، حتى ليستطيع الباحث أن يرى الرأي فيقول وهو آمن: إنّ هناك رأياً آخر يناقضه من غير أن يكلّف نفسه مشقة الاطلاع[٥].!! فتأمل!.

---

(١) ينظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، ١٤٣/١.

(٢) خالد الأزهري: شرح التصريح والتوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٥٦/١.

(٣) الصبّان: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية/صيدا – بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ١٦٧/٢-١٦٨ .

(٤) السيوطي: همع الهوامع في شرح الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ١٢٥/١-١٢٨.

(٥) عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والحديث، ص٧٢.

المبحث الثالث

كتب نحوية جدلية

من الكتب النحوية التي لفتت نظري، والتي قامت على منهج لا يمت إلى مناهج اللغة بل قامت على (المنطق)، و(الفقه) و(أصوله) بإقرار مؤلفها، وملأها جدلاً: ثلاثة لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ):

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين:

قال في مقدمته:

"وبعد، فإنّ جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين المشتغلين عليّ بعلم العربية... سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة..."[1]. إلى هنا كلامه سليم لو أنّه اقتصره على الترتيب فقط، ولكنّ باحثين مرموقين وقفا على كتابه هذا، ودرساه وخرجا بنتائج، وهما:

- الباحث محمد خير الحلواني في دراسته (الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف، دار القلم العربي/ حلب/ سوريا، ١٩٧١م، ص٣):

انطلق في تحديد هدف كتابه فقال: "لم يكن هدفي هنا أن أبحث الخلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين بحثاً شاملاً جامعاً، وإنّما حددت الزاوية في

---

(١) أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، ٢٠١٢م، ٧/١.

كتاب الإنصاف لأبي البركات وفي دلالته على خصائص المذهبين، وتصويره لأوجه الخلاف بينهما".

وانتهى إلى ما يأتي:

"حقيقة الخلاف، وما في كتاب الإنصاف من زيف وتمويه... ثم بينت اضطراب مصادره الكوفية، وجهله أحياناً بآراء الكوفيين... ويتصرف بالنقل تصرفاً مخلاً، وربما أخطأ في النقل، أو نقل بلا تحقيق... ولا يعطي صورة صحيحة عن الخلاف... مسائل ليست من الخلاف في شيء... كتاب الإنصاف لا يصلح لدراسة المذهبين... لما فيه من تداخل نجم عن تدليس أبي البركات... أدلة الكوفيين... من عمل أبي البركات لا من عمل بصريين متأخرين كما رأى (فايل)، ولا من عمل

أوائل البغداديين كما يرى الدكتور شوقي ضيف"[1].

فهل بعد هذا نطمئن إليه مصدراً في دراسة الخلاف بين المذهبين؟!.

- أستاذي الفاضل صالح فاضل السامرائي (مدّ الله في عمره) في كتابه (أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية – دار عمّار/ الأردن، ٢٠٠٧م، ص٥٨-٦٠):

استدرك على مسائله الإحدى والعشرين والمئة، اثنتين وعشرين مسألة.

وعرض مآخذ علمية (أحد عشر مأخذاً)، وذكر "استدلالات تقوم على المماحكات المنطقية والتمحلات المتكلفة" و"الاحتجاج غير الملزم" و"البعد عن التأويل"[2].

"كما كان يظهر عنده عدم التدقيق أحياناً في بحثه"[3].

---

(١) محمد خير الحلواني: الخلاف النحوي، ص٤٣٣-٤٣٤.

(٢) فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص٧٦-٨٧.

(٣) نفسه، ص٢٦٨.

فهل بعد هذا من مزيد؟!.

- **الإغراب في جدل الإعراب:**

قال أبو البركات:

"وبعد فإنّ جماعة من الأصحاب اقتضوني تلخيص كتاب جدل الإعراب معرّى من الإسهاب... ليكون أول ما صُنّف لهذه الصناعة في قوانين الجدل والآداب ليسلكوا به عند المجادلة والمحاولة (وأظنها المحاورة) والمناظرة.."[1].

وموضوعاته: السؤال، ووصف السائل، ووصف المسؤول به، ووصف المسؤول منه، ووصف المسؤول عنه، والجواب، والاستدلال، والاعتراض على الاستدلال، وترتيب الأسئلة، وترجيح الأدلة.

فهل هذا من النحو في شيء؟!.

- أما كتابه (لمع الأدلة) فقد طُبع مع كتابه (الإغراب...) لأنهما على وفق منهج واحد، وقال فيه أستاذنا فاضل صالح السامرائي (مدّ الله في عمره):

"إنّ عمل الأنباري في أصول النحو إنما هو نقل أحكام أصول الفقه، وأحكام علم الحديث، والاستدلالات المنطقية إلى علم أصول النحو، ومحاولة تطبيقها على اللغة، فإنك إذا قرأت كتاب (اللمع) لا يخالجك شكّ في أنك تقرأ كتاباً في أصول الفقه، وفي مصطلح الحديث"[2].

ليس لدي تعليق، ولا إضافة إلى ما قاله الأستاذ السامرائي.

---

(١) أبو البركات الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر/ دمشق، ط٢، ١٩٧١م، ص٣٥-٣٦.

(٢) فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص١٥٤.

وجاء كتاب (الاقتراح في علم أصول النحو وجدله) لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تلخيصاً منظماً لهذين الكتابين في ضوء نظرة تذهب إلى "أن كلاً من النحو والفقه معقول من منقول"[١]. وقيل في أسلوبه "شيء من الجفاف لما يعروه .

من عبارات وأقيسة منطقية ومصطلحات علمية"[٢]؟ ولعل مبحثه (في أنواع العلل التي تضطرد على كلام العرب) ما يكفي تمثيلاً على أثر علوم أصول الفقه وجفاف كتابه. قال: "وهي واسعة الشُّعَب إلا أن مدار المشهورة منها على أربعة وعشرين نوعا"[٣]. فضلاً عن ذكر القوادح في العلة[٤]، والكلام على (الاستصحاب)[٥]، و(الاستحسان)[٦]. وليس هذا كله من مباحث اللغة.

وملحظنا الأخير على السيوطي في كتابه هذا أنه لم يشر إلى كتابي أبي البركات في مقدمته ولكنه نقل عنهما في أثناء كتابه[٧].

---

(١) السيوطي: الاقتراح ...، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الصفا/ القاهرة، طبعة جديدة، ١٩٩٩م، ص٤.

(٢) نفسه، ص٥.

(٣) نفسه، ص١٠٦-١١٠.

(٤) ينظر: نفسه، ص١٣١.

(٥) نفسه، ص١٤٧.

(٦) نفسه، ص١٥٢.

(٧) نفسه، الصفحات: ٨٢، ٨٩، ٩٠، ٩١، وغيرها.

الخاتمة

ضاق كثير من الباحثين في شأن النحو العربي بما لا يمتّ إليه بصلة منـــذ انطلاق دعوة ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـــ)، ثمّ عطف المحدثون في تقصي ما أثقل النحو، فتناولت هذه الورقة في مباحثها الثلاثة:

- أمثلة لم ترد على لسان عربي:

- التمارين غير العملية التي بدأها سيبويه بما سمّاه (التصريف)، ووقفت على أمثلة وردت في كتابه، وأردفتها بما جرى عليه المبرد وابن السراج، اكتفاء بهما من ذكر غيرهما.

- ونبهت الورقة على ما حملته ظاهرة (تعدد الوجوه):

- فتعددت معاني (المفردة) في النصّ الواحد مما يربك المتلقـــي أيّ معنـــى يعتمد.
- وأشارت إلى إشكالية لم تزل قائمة من هذه الظاهرة: تعدد المصطلح فـــي الباب الواحد، وما تجرّه من تشتت النظر في الموضوع النحوي الواحد.
- ولعلّ الأشيع في ظاهرة التعدد: تعدد الوجوه الإعرابية التي حفلت بها كتب النحو والأعاريب.

- ونظرت هذه الورقة في ثلاثة كتب لأبي البركات الأنباري:

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، وانتهت إلى أنه لا يصلح للوقوف على مسائل الخلاف بينهما.

- الإغراب في جدل الإعراب، فوجدته كتاباً حُشِي جدلاً عقيماً، وإيغالاً فـــي توظيف المنطق وعلم الكلام والفقه، فلا ننصح أن يقف عليه متعلم العربية.
- لمع الأدلة، وهذا الكتاب مثقل جداً بما تفرّع فيه من العلل وقوادحها، ويعدّ نسخة أخرى من أي كتاب في علم أصول الفقه، ويقال فيه مثلما قيل فـــي سابقه.

وخلاصة القول: دعوة إلى إعادة النظر في الدرس النحوي منهجاً وموضـــوعاً وتأليفاً، لتقديمه مبرأً من الشوائب إلى متعلميه ودارسيه.

والله الموفق للصواب

قائمة المصادر والمراجع

١- **ابن السراج:** الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٢- **ابن جنّي:** الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب/ بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، مجلد واحد.

٣- **ابن عقيل:** شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، د.ط، ٢٠٠٤م.

٤- **ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ)**، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف/ القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

٥- **أبو البركات الأنباري:** الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر/ دمشق، ط٢، ١٩٧١م.

٦- **أبو البركات الأنباري:** الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا- بيروت، د.ط، ٢٠١٢م.

٧- **أبو البركات الأنباري:** البيان في غريب القرآن، تحقيق طه عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م.

٨- **أبو بكر الأنباري:** الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية/ بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.

٩- **أبو الحسن الطوسي:** التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، نشر ذوي القربى/ طهران، ط١، ١٤٣١هـ.

١٠- **أبو القاسم بن محمد المؤدب:** دقائق التصريف، تحقيق حاتم الضامن، دار البشائر/ دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

١١- **أحمد مطر العطية:** ابن السراج ومذهبه في النحو - دراسة في كتاب الأصول، دار الصحوة/ القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٢- **أنيس فريحة:** نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

١٣- **خالد الأزهري:** شرح التصريح والتوضيح، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤- **خديجة الحديثي:** أبنية الصرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، مكتبة لبنان - ناشرون، ط١، ٢٠٠٣م.

١٥- **الراغب الأصفهاني:** المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة/ بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.

١٦- **سعيد جاسم الزبيدي:** من إشكاليات العربية: المصطلح النحوي ورواية اللغة، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط١، ٢٠١٣م.

١٧- **سيبويه:** الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل/ القاهرة، ط١، د.ت.

١٨- **السيوطي:** الاقتراح ...، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الصفا/ القاهرة، طبعة جديدة، ١٩٩٩م.

١٩- **السيوطي:** المطالع السعيدة في شرح الفريدة، تحقيق نبهان ياسين حسين، دار الرسالة/ بغداد، د.ط، ١٩٧٧م.

٢٠- **السيوطي:** همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢١- **الصبّان:** حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية/ صيدا – بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٢٢- **عادل نذير بيري ،وحيدرعبد علي حميدي،** أهداف الافتراض الصرفي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الحادي عشر – العدد الرابع/ إنساني، ٢٠١٣م.

٢٣- **عباس حسن:** اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧١م.

٢٤- **عباس حسن:** بعض الشوائب في النحو، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية/ القاهرة، الدورة الخامسة والثلاثون، سنة ١٩٦٨م/١٩٦٩م.

٢٥- **عبدالقاهر الجرجاني،** دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة – جدة، ط٣، ١٩٩٢م.

٢٦- **فاضل صالح فاضل السامرائي:** أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية – دار عمّار/ الأردن، ٢٠٠٧م.

٢٧- **المبرّد:** المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب/ القاهرة، د.ط، ١٣٩٩هـ.

٢٨- **محمد خير الحلواني:** الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف، دار القلم العربي/ حلب/ سوريا، ١٩٧١م.

٢٩- **مهدي المخزومي:** في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي/ بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.